الأوضاع السياسية الخارجية للمملكة الكارولنجية (752–768م)

*د. إيمان عبدالحميد فرج آدم

المستخلص تناول هذا البحث الأوضاع السياسية الخارجية للملكة الكارولنجية (752–768م)، وهي التي تختص بفترة حكم الملك بيبين القصر، ولقد تمّ تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاث عناصر وخاتمة.

وقد تطرقت المقدمة إلى شرح مُبسط لمحتوى البحث، بالإضافة إلى أهمية الموضوع وأبرز أهدافه، إلى جانب تقسيمه إلى ثلاث عناصر وخاتمة اشتملت على أهم النتائج.

هذا وقد جاء العنصر الأول بعنوان: (السياسة الخارجية مع اللمبارديين)، حيث بيّن هذا الفصل سياسة الملك بيبن القصير مع اللمبارديين في إيطاليا، حيث دخل هذا العنصر في صراع مع الباباوية التي كانت في تحالف مع الملك بيبين القصير، والذي ما كان منه إلا أن يتدخل لصالح الباباوية عندما سعى زعيم اللمبارديين المدعو "استولف Aistulf" بالاستيلاء على أملاك وأراضي الباباوية، مما اضطر لقتالهم واستطاع إخضاع اللمبارديين وأجبرهم على الاعتراف بسيادته عليهم.

وتدرج العنصر الثاني تحت عنوان: (السياسة الخارجية مع الإمبراطورية البيزنطية والبافار)، لقد تكون هذا العنصر من شقين؛ وهما بيزنطة والبافار Pavier، وذلك لقلة المعلومات فيهما، لذلك شملتهما في مبحث واحد، وفيما يخص الإمبراطورية البيزنطية فقد ظهر جليًا دبلوماسية هذه العلاقات متمثلة في تبادل السفارات وصراعهم على إيطاليا. وأما فيما يخص البافار فقد تطرق هذا العنصر إلى بدايات السيادة الجرمانية بزعامة بيبن القصير على إقليم بافاريا Pavaria إلى أن تمّ إعلان الاستقلال في عام 763م.

وتناول العنصر الثالث: (العلاقات مع المسلمين)، والتي شملت علاقاتهم مع المسلمين في بلاد الأندلس ومحاولة الاستيلاء على تاريوت، بالإضافة إلى العلاقات مع مسلمي المشرق، ونقصد هنا الخلافة العباسية في بغداد، لاسيما في عهد أبي جعفر المنصور، حيث حرص يبين القصير أن يسودها السلام وتبادل السفارات بين الجانبين.

المقدمة:

المتتبع لتاريخ العصور الوسطى الأوروبية، يلاحظ أنّ بقاء الممالك واستمرارها متوقف على مدى القوة والسياسة الحكيمة لمن يقودها من الملوك أو الأباطرة، ولعلّ الفرنجة من ضمن هذه الأقوام، فقد استطاعوا في عام 476م القضاء على الإمبراطورية الرومانية والاندماج مع حضارتها وعاداتها وتقاليدها على خلاف غيرهم.

لقد كان الملك "بيبين الثالث القصير Pepin Le Bref" دور كبير في لم شمل الفرنجة ووحدتهم، وباعتباره أول ملوك السلالة الفرنجية.

ولد "بيبين القصير" سنة 714م، وتمّ تتويجه ملكًا على الفرنجة من قبل البابا زكريا (741–752م) Zacharia وهو ابن الملك شارل مارتل (719–741م) Charles Martel. لقد عُرف عن بيبين القصير الذكاء والنشاط في عمله، بالإضافة إلى أنه مقاتل شجاع.

فلقد حرص منذ توليه الحكم على تثبيت دعائم حكمه، هذا من الناحية الداخلية وفي علاقاته الخارجية أيضًا، لذلك نرى ذلك يتجلى بصورة واضحة في علاقته مع اللمبارديين ومحاول بسط السيطرة على إيطاليا، إضافة إلى العلاقات مع البيزنطيين والجنوح إلى الدبلوماسية معهم إلى جانب البافار وإصراره على التمسك بهم حتى بقيت في النهاية سيادة اسمية عام 763م، كما ألقينا الضوء على العلاقات مع المسلمين في الشقين الغربي متمثلاً في الأندلس والشرقي متمثلاً بالخلافة العباسية، وإن اختلفت توجهاته بين

* محاضر ، تخصص:العصور الوسطى الأوروبية، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

emanabdlhameed@omu.edu.ly

الجانبين، فعلى الصعيد الأندلسي كان "بيبين القصير" عدائيًا بشكل كبير محاولاً فرض سلطانه على أجزاء كبيرة من بلاد الأندلس، وأما الجانب العباسي في الشرق فكان الأمر مختلفًا تمامًا، حيث نجد أنّ العلاقات اتسمت بالسلام والهدوء بين الجانبين.

أهمية البحث:

تتركز أهمية هذا البحث في التعريف بالدور الذي قام به الملك "بيبين القصير" في علاقاته السياسية الخارجية، ومحاولاته الدؤوبة من أجل فرض سيطرته على أكبر مساحة من أراضي أوروبا العصور الوسطى، وضمها إلى حاضنة الدولة الفرنجية، إضافةً إلى أنّ دولته كانت لا تزال قيد التأسيس، فقد كان لبيبين الشرف لقيامه بهذا التوسع على حساب الأقوام الأخرى، وحتى المناطق التي لم يستطع وضع يده عليها، استطاع أن يقيم معها علاقات دبلوماسية قامت على أساس السلام والاحترام المتبادل، كما هو الحال مع الخلافة العباسية في المشرق الإسلامي.

الهدف من الدراسة:

جاء الهدف من هذه الدراسة في الآتي:

1. بيان الدور المهم الذي قام به املك "بيبين القصير" في تثبيت دعائم الحكم الكارولنجي فيما بعد، ووضع اللبنة الأولى لهذه الأسرة؛ من خلال نجاحه الكبير في فرض سلطانه وتوسعه على مناطق استراتيجية محيطة بمملكته.

2. إنّ الملك "بيبين القصير" كان يسعى في كل هذه العلاقات إلى كسب ود الباباوية والعمل بمشورتها، وهذا يدل على مدى سيطرة الكنيسة متمثلة في الباباوية على ملوك وحكام أوروبا العصور الوسطى بصفة عامة.

3. إضافة علمية للمكتبات الليبية والعربية لمثل هذه البحوث التي تعتبر قليلة إلى حد ما؛ نظرًا لقلة المادة العلمية المكتوبة باللغة العربية، وصعوبة ترجمة المتوفر لدينا؛ لنُدرة وجود المتخصصين في الترجمة من اللغة الأم اللاتينية.

المنهج المتبع:

هو المنهج الوصفي التحليلي.

أولاً– السياسة الخارجية مع اللمبارديين (752–763م):

في عام 752م توفي البابا زكريا فخلفه على عرش البابوية البابا إيتين الثاني (752-757م) Etienne II، الذي كان عليه مواجهة خطر اللمبارديين بزعامة ملكهم استولف (749-756م) Aistulf الذي سعى إلى توحيد إيطاليا تحت حكمه وأرسل تهديدًا مباشرًا للباباوية، وهدد بالاستيلاء على أملاكها، إلا أنه عقد هدنة مدتها أربعين عامًا، لكنه ما لبث أن قام بإلغائها وفرض جزية مقدارها "سو Sous" (Le Potil Larousse illutré, 1996, P949) من الذهب على سكان روما Rome، وكان ذلك هيمنة واضحة على الباباوية، لذلك أرسل البابا "إيتين الثاني" إلى الملك "بيبين القصير" يطلب مساعدته، والذي بدوره دعاه لزيارته في مركز حكمه في بلاد الفرنجة (Annales Marbacensesquidicuntur, 1907, P6)

وعلى الجانب الآخر، فقد كانت أملاك الباباوية تابعة للإمبراطور البيزنطي "قسطنطين الخامس" (741-775م Constantin V الذي حاول بدوره إعادة هذه الأراضي التي سيطر عليها استولف للباباوية، فأرسل مبعوثه المدعو "جان Jean" ومعه شقيق البابا "بول Paul" للتفاوض مع استولف في مدينة بافيا Pavie (Encyclo. Uni France, 1990, P2639.)، واللذان نجحا بالفعل في الحصول على موافقة استولف للتخلي عن هذه الأراضي وإرجاعها للباباوية مرة

أخرى، ولكن استولف عاود هجموه من جديد في عام 753م، واستولى على سيكانوCeccano، وفشل قسطنطين الخامس في ردعه، مما اضطر البابا إلى طلب العون من "بيبين القصير"، ((Liber pontifialis, 1886,P442 ضد اللمبارديين، وبالفعل استقبله في مكان إقامته في بنتيونPontihion ومعه زوجته برتراد Bettrade وابنه كارولمانCarloman (Calmette, J, 1945, P38.) في يناير من عام 754م، وطلب البابا أن يضع "بيبين" حدًا لاعتداءات استولف ورد الأملاك الباباوية، على الرغم من أنّ تلك الملاك هي أصلاً تابعة للدولة البيزنطية، ولكن البابا إيتين الثاني برر ذلك بوثيقة مزيفة تسمى "هبة قسطنطين Donatio Constantin، (عبيد، د.ت، ص ص233-234) وقد كتب فيها أنّ الإمبراطور قسطنطين الكبير Constatinthe Beige أعطى هبة للبابا سلفستر الأول (314-335م) Silvestre I، وكل خلفائه من بعده، كل إيطاليا وغرب أوروبا (فشر، 1950م، ص83)، لذلك أرسل "بيبن القصير" رسالة إلى استولف مطالبًا فيها بإيقاف كل تحركاته اتجاه إيطاليا، لكن استولف لم يهتم لأمر بيبين القصير، لذلك ما كان من الأخير إلا أن عقد اجتماعًا طارئًا في مدينة بير ريفييرBerry Riviere(Ganshof, 1938, P410) وقرر فيه قتال اللمبارديين كما رغب في تتويجه من قبل البابا ملكًا هو وزوجته برتراد، وبالفعل تمّ تتويجهما سنة 754م، بل وسنّ عقوبة حرمان لكل من يختار ملكًا غير "بيبين القصير"، وبالتالي نرى أنّ هذا التتويج وثق العلاقات بينه وبين البابا (صبرة، 1982م، ص ص41-42)، وفي ذات الوقت أطلق البابا إيتين الثاني على بيبين وولديه شارمان وكارولمان لقب بطريق روماني PatriciusRoman orun(Bouillet, 1871,P1443)، وهذا اللقب من ضمن ألقاب الإمبراطور البيزنطي(Liber pontificalis, 1886, P449).

هكذا فقد جاءت محاولات "بيبين القصير" في ترويض ملك اللومبارديين بالفشل، لذا فمنذ عام 756م جهز "بيبين" جيشه وقام بحصار بافيا، وقد ساعده في ذلك دوق بافاريا عندما أرسل إليه كتيبة كاملة لمساندته بقيادة الدوق تاسليون Tassilon، مما جعل أستولف يجنح للسلام وطلب الصلح، فقام "بيبين القصير" مستغلاً للموقف بإذلال استولف من خلال اعترافه بسيادته والتبعية له، بالإضافة إلى دفع جزية سنوية، وكتب "بيبين القصير" هبة (صبرة، 1982م، ص41)، بذلك، وأمر فولردFulrad رئيس ديرسانت دينيس Saint–Denis (Bouillet, 1871, P1664) باستبعاد هذه الأملاك من اللمبارديين وتسليمها للبابا وأن تكتب هبة للبابا روما بذلك (Fredegarii, 1869, P108).

لكن في حقيقة الأمر، وكما وصف "دوشسن" Duchesne صاحب كتاب الباباوات أنّ استغلال الباباوية بهذه الممتلكات لم يكن يحمل الصيغة القانونية، بل هي دولة في مرحلة التكوين والسلطة الوحيدة التي تمارس عليها هي سلطة "بيبن القصير".

ومع وفاة استولف سنة 756م تولى دزيدريوسDesiderius دوق توسانيا زعامة اللمبارديين خلفًا لاستولف مخلفًا البابا إيتين الثالث شقيقه البابا بولى الأول (757-767م) Paul I، والذي طلب هو أيضًا من دزيدريوس البقاء على وعود استولف، لكنه رفض ذلك وسخّر من البابا بولس الأول ووعد باستعادة كل ما خسره اللمبارديين، عندها أسرع البابابولى الأول يطلب المساعدة من "بيبين القصير"، والذي بدوره قد ملّ الحرب في إيطاليا وطالب البابا بالتنازل عن أملاك الباباوية سنة 763م(Duchesen, 1886, PP64-63)، وقام بعقد اتفاق في ذلك الخصوص وتنازل عن سبوليتSpolete (Bouillet, 1871, P1799)، وتمّ هذا الاتفاق على أساس احترام الطرفين لحقوق بعضهما ولا يتعدى أحد على أملاك الآخر (Codex carolinus, 1908, P526).

ثانياً– السياسة الخارجية مع الإمبراطورية البيزنطية والبافار:

أما عن سياسة "بيبين القصير" اتجاه بيزنطة، فقد أرسل إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس (741-775م) Constantin V سنة 756م ليبرر له ما حدث في إيطاليا بعد صراعه مع اللمبارديين، وأرسل في عام 757م مع مبعوثه هدايا له، ولكن هذه العلاقات السلمية لم تستمر طويلاً(Ganshof, 1938, PP415-416).

وفي عام 767م أرسلت بيزنطة سفارة لإثارة الخلاف بين البابا وبيبين فيما يتعلق بالأيقونات (عمران، 2011م، ص ص192-197)، لكن هذه السفارات لم تلقى أيًا استماع(Annales Regnifrancorum, 1895, P25).

وفيما يخص سياسة "بيبن القصير" مع البافارBavier، فمنذ عام 754م كان ملكهم تاسيلون تحت وصاية "بيبن القصير"، وقد ظهر أول الأمر وكأنه مخلص للملك "بيبين القصير"، ولكنه عندما بلغ سن الرشد حاول الاستقلال بدوقيته "بافاريا"، وعلى الرغم من أنّ سيادة "بيبين القصير" عليها مجرد سيادة اسمية وليست فعلية (La Croix, 1860, P190)، فقد بدأت تدبُّ فيها مظاهر الحضارة الجرمانية، ولكن في عام 763م أعلن تاسليون استقلاله عن مملكة "بيبين القصير"، والذي بدوره فضّل الصلح الذي سعت إليه الباباوية عوضًا عن القتال (Annales ReaniFrancum, 1895, PP19-20).

ثالثًا– السياسة الخارجية مع المسلمين:

سعى "بيبين القصير" لكي يمد مساحات مملكته كلما حانت له الفرصة لفعل ذلك، فقد لاحت أنظاره إلى الحد الغربي لمملكته، حيث سبتمانيا Septimania (قلاتي، 2006م، ص45)، كانت الأجواء مناسبة له في بلاد الأندلس، حيث الوضع المضطرب للمسلمين هناك خاصة ثورات البربر بين عامي (741-742م)، والمجاعات التي عصفت بالناس هناك بدأً من عام 750 إلى عام 753م، والتي قضت على بربر شمال الجزيرة الأريتيرية (المراكشي، 1983م، ص ص30-38؛ المقري، 1302هـ، ص58).

كما أنّ "بيبين القصير" حاول الاستيلاء على ناربونNabonne (الزهري، د.ت، ص77)، التي كانت مليئة بسكانها القوط الغربيين، إلا أنها كانت حصينة جدًا، لذلك أدرك "بيبن القصير" صعوبة الاستيلاء عليها بالحرب (Camau, 1920, P227)، لذلك لجأ إلى الخديعة، فقام بإقناع سكانها من القوط ووعدهم بمنحهم الحرية المطلقة ليحكموا أنفسهم طبقًا للعادات القوطية، وأن يحصلوا على الاستقلال، وهذا الأمر لطالما تمنوه في ظل السيادة الإسلامية، وهو ما أكدته حولية مواساك Moissac (Annales Moissac, P69)، وبالفعل أنقضّ القوط الغربيين على الحامية الإسلامية وقتلوا جميع أفرادها، وفتحوا أبواب مدينة ناربون أمام الفرنجة (Rey, 1878, PP59-60) وكان لسقوطها الأثر البالغ في إنهاء السيادة الإسلامية التي دامت ما يقرب عن ثلاث عقود، وكان لذلك تبعات أخرى لعلّ أبرزها استسلام كافة المناطق الخاضعة لسلطان المسلمين حتى جبال البرانييه (Henri Murtin, 1935, P193).

أما على صعيد الجبهة الإسلامية الشرقية، فقد حرص "بيبن القصير" على بسط السلام معهم، حيث أرسل سفارة إلى الخليفة العباسي سنة 765م أبي جعفر المنصور(714-776م) (فوزي، 1977م، ص743) في بغداد، وبقيت حوالي ثلاث سنوات فيها قبل أن تعود إلى بلاد الفرنجة بصحبتها مبعوث من طرف أبي جعفر المنصور إلى بلاد الفرنجة، فاستضافهم "بيبين القصير" في قصر سال Sels وعاد المبعوث إلى بغداد محملاً بالهدايا سنة 768م، ويقول جانشوف Chanshof في مقالة له بعنوان:

ملاحظات على موانئ بروفانسProvence(Bouillet, 1886, P1153) من القرن الثامن عشر إلى القرن العاشر، إنّ الأمر كان له علاقة بتحالف ضد الأمويين في الأندلس، وهم بالتالي الأعداء التقليديين للعباسيين، وبالنسبة لـ"بيبين" والفرنجة عامة؛ فقد سبّب هؤلاء الأمويين قلاقل لهم نتيجة أعمالهم الجهادية في البحر، والتي يسمونها "قرصنة" بحرية، ولكن الأرجح هو تنامي العلاقات التجارية بين الفرجنة والدولة العباسية(Ganshof, 1938, P30).

الخاتمة

لقد ساهمت الأوضاع السياسة الخارجية في زمن الملك بيبين القصر في تثبيت دعائم الحكم لدى الفرنجة، فقد عمل "بيبين القصير" حثيثًا من أجل بسط سلطانه على كامل إيطاليا من خلال صراعه مع اللمبارديين، لاسيما عندما دخلوا في صراع قوي مع الباباوية انتهى بإرساء قواعد السلام بين الطرفين، وأما فيما يخص ببيزنطة، فنرى أنه من البداية جنح كلا الطرفين إلى الدبلوماسية بالدرجة الأولى، وأما البافار ففي بادئ الأمر كانوا تحت سلطة "بيبين القصير"، لكنهم أخذوا في الانفصال تدريجيًا حتى كان لهم الاستقلال التام عام 763م، ونجد على الجانب الآخر في علاقاتهم مع المسلمين كانت فيها مفارقة كبيرة جدًا، فبينما كانت العلاقات مع المسلمين في الأندلس يشوبها الكثير من العداوات والحروب، وبما يُعزى ذلك لأنهما على شريط حدودي واحد وطمع كللا الطرفين في أراضي الأخرى، ونرى أنها في الجانب الشرقي وتحديدًا مع الخلافة العباسية اتسمت بالسلم وتبادل للسفارات بين الجانبين.

هكذا يتبين لنا مدى جهود الملك "بيبين القصير" الحثيثة التي بذلها من أجل توسيع ملك دولة الفرنجة وفرش أرضية صلبة لوريثيه "كارولما وشارلمان"، لكي يكملا ما بدأه والدهما لتبني أقوى وأكبر إمبراطورية عرفتها العصور الوسطى.

Foreign political situation of the Carolingian kingdom

(752–768 AD)

Preparation

Dr.Eman Abd el Hameed Faraj Adam

Mr. of the European Middle Ages

Lecturer, Department of History, Faculty of Arts, Omar Al–Mukhtar University

1444 – 2023

Emile: emanabdlhameed@omu.edu.ly

Abstract: This research dealt with the foreign policy situation of the Carolingian Queen (752-768 AD), which is concerned with the period of King Pepin's rule, and the research was divided into an introduction, three topics, and a conclusion.

The introduction dealt with a simplified explanation of the content of the research, in addition to the importance of the topic and its most prominent objectives, in addition to dividing it into three elements and a conclusion that included the most important results.

The first element was entitled: (Foreign Policy with the Lombards), as this chapter showed the policy of King Pepin the Short with the Lombards in Italy, where this element entered into a conflict with the papacy, which was in alliance with King Pepin the Short, which was nothing but that He intervened in favor of the papacy when the leader of the Lombards called "Aistulf" sought to seize the property and lands of the papacy, forcing him to fight them and was able to subdue the Lombards and force them to recognize his sovereignty over them.

The second element was included under the title: (Foreign Policy with the Byzantine Empire and the Bavarians). This element consisted of two parts. They are Byzantium and Bavarian Pavier, due to the lack of information in them, so I included them in one topic, and with regard to the Byzantine Empire, the diplomacy of these relations was evident in the exchange of embassies and their struggle over Italy. As for the Bavarians, this element touched on the beginnings of Germanic dominion under the leadership of Pepin the Short over the region of Bavaria until independence was declared in the year 763 AD.

The third element dealt with: (Relations with Muslims), which included their relations with Muslims in the countries of Andalusia and the attempt to seize Tarriot, in addition to relations with the Muslims of the East, and we mean here the Abbasid caliphate in Baghdad, especially during the era of Abi Jaafar al-Mansur, where he was keen to show that it prevailed. Peace and exchange of embassies between the two sides.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً– المصادر:

1. ابن عذاري (ت: بعد 712هـ/1312م) أبو عبدالله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كوبلان، ليفي بروفسنال، بيروت، 1983م.
2. الزهري (ت بعد 545هـ/ 1150م)، أبو عبدالله محمد بن ابي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، القاهرة، د.ت.
3. المقري (ت: 1041هـ/ 1631م)، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، القاهرة، 1302هـ، ج2.

4. Annales Marba censesquidicuntur, dans M.G.H., SS, Ed. Hannoverae, 1907.

5. Annales mettenses priores, dans M.G.H, SS RE. R, Ed. De Simsons, Hannverae, 1905.

6. Annales Moissac, dans R.H.G.F, I.V.

7. Annales Regnifrancorwm, dans, M.G.H. SS. ReR. Ed. Kurze, Hannoverae, 1895.

8. Codex carolinus, dans M.G, Epistolae, Ed. Gundlach, Hannoverae, 1908, T.II.

9. Fredegarii, dans R.H.G.F, Psris, T.II, 1869.

10. Liber pontificalis, Texte, In troduction et commentaire II, Parl' Abbe L.Duchesne, Paris, 1886.

ثانيًا– المراجع:

1. صبرة، عفاف، الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، القاهرة، 1982م.
2. عبيد، إسحاق، العصور الوسطى المظلمة، القاهرة، (د.ت).
3. عمران، محمود، حضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، 2011م.

4. فشر، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ج1، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1950م.

5. فوزي، فاروق، العباسيون الأوائل، لندن، 1977م.

6. قلاتي، عبدالقادر، الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط، الجزائر، 2006م.

7. Bouillet, Dictionnaire Universel d'Histoire et de Géographie, Paris, 1871.
8. Camau, E, Les provenceatr atravers Les siècles, Paris, 1920.
9. Calmette, J, Charlemagne, Paris, 1945, P38.
10. Encyclo. Universalis. France, Paris, 1990.
11. Henri Murtin, Histoire de France, Paris, 1935, T, II.
12. Ganshof, F, L., Lot, F., Hisroire du moyen Age, Paris, 1928.
13. _____ Notes sur les ports de Provence du VIII, R. H, Paris, 1938.
14. La Croix, P., Histoire de France, Paris, 1860.
15. Leptit Larousse III ustre, PARIS, 1996.
16. Rey, G, De, Les invasions des sarrasins en provence, Paris, 1878.